باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾[1].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم[2].

وفى صحيح مسلم. عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**اثنتَان فى النَّاسِ هُمَا بِهِم كفرٌ: الطَّعنُ فِى النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيت**»[3].

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: «**لَيسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَى بِدَعوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[4].

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

أما الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان بل هما أساسه وفرعه. فان الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبر عن محارم الله.

فإن الدين يدور على ثلاثة أصول:

تصديق خبر الله ورسوله وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما.

فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل فى هذا العموم ولكن خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به.

---

(١) سورة التغابن آية: (١١).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢/ ٢٨/ ٨٠) وابن كثير (٤/ ٣٧٥).

(٣) مسلم: ك (١) ب (٣٠) ح (٦٧)، أحمد: (٢/ ٤٩٦/رقم: ١٠٤٤٥) صحيح.

(٤) البخارى: ك (٢٣) ب (٣٥) ح (١٢٩٤) وأطرافه (١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩)، مسلم: ك (١) ب (٤٤) ح (١٠٣)، الترمذى ك (١٠) ب (٢١) ح (١٠٠٣) صحيح، النسائى: ك (٢١) ب (١٧) ح (١٨٦٠) صحيح، ابن ماجه: ك (٦) ب (٥٢) ح (١٥٨٤) صحيح، أحمد: (١/ ٣٨٦/رقم: ٣٦٥٧) (٤٣٢/رقم: ٤١١٠) (٤٤٢/رقم: ٤٢١٤) (٤٥٦/رقم: ٤٣٦٠) (٤٦٥/رقم: ٤٤٢٩) صحاح.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيرَ عَجلَ لَهُ بِالعُقُوبَةِ فِى الدُّنيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشرَّ أَمسَكَ عَنْهُ بِذَنبِهِ حَتَّى يُوَافِىَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ**»(١).

وقال النبى ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوماً ابتَلَاهُم فَمَن رَضِىَ فَلَهُ الرِّضَاءُ، وَمَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخطُ**»(٢) حسنه الترمذى.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن فى النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة الله بعبده الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن لله أتم الحكمة فى تقديرها، وله النعمة السابغة فى تقديرها على العبد، رضى بقضاء الله وسلم لأمره وصبر على المكاره، تقربا إلى الله ورجاء لثوابه وخوفا من عقابه واغتناما لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه وقوى إيمانه وتوحيده.

(١، ٢) الترمذى: ك (٢٧) ب (٤٥) ح (٢٥١٧) حسن، ابن ماجه: ك (٣٦) ب (٢٣) ح (٤٠٣١) حسن.

obeikandl.com

باب ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[1] الآية.

وعن أبى هريرة مرفوعا: قال الله تعالى: «أَنَا أُغنى الشُّرَكَاء عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلاً أَشرَكَ مَعِى فِيهِ غَيرِى تَرَكتُهُ وَشِركَهُ»[2] رواه مسلم.

باب ما جاء فى الرياء: ثم قال:

(باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)

اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد، والعبادة وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله، وثوابه، وفضله، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التى هى الاحسان. وبحقوق الله. وحقوق عباده. مكملا لها قاصدا بها وجه الله والدار الآخرة. لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رياسة، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

ومن أعظم ماينافى هذا مراءآة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح فى الإخلاص والتوحيد. واعلم أن الرياء فيه تفصيل:

فان كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابط وهو شرك أصغر. ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.

وإن كان الحامل على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءآة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل.

---

(١) سورة الكهف آية: (١١٠).

(٢) مسلم: ك (٥٣) ب (٥) ح (٢٩٨٥)، ابن ماجه: ك (٣٧) ب (٢١) ح (٤٢٠٢) صحيح لغيره، أحمد: (٢/ ٣٠١/رقم: ٨٠١٩، ٨٠٢٠) (٤٣٥/رقم: ٩٦٣٢) صحاح لغيرهم.

وعن أبى سعيد مرفوعا: «**أَلاَ أخبرُكُم بِمَا هُوَ أَخوَفُ عَلَيكُم عندى منَ المَسيحِ الدَّجَال؟**» قالوا: بلى، قال: «**الشِّركُ الخَفِى يَقُومُ الرَجل فيصلى فيُزِينُ صلاتهُ، لما يرى من نظر رجلٍ**»[1]. رواه أحمد.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا دخله شىء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة:أن من الأسباب أنه خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبى ﷺ على أصحابه من الرياء.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء فى أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام فى قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

والرياء آفة عظيمة ويحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على الإخلاص ومجاهدتها فى مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها.

فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له فى الآخرة من نصيب.

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن ولو كان ضعيف الايمان لابُدَّ أن يريد الله والدار الآخرة.

---

(١) أحمد: (٣/ ٣٠/رقم: ١١٢٥٨) حسن لغيره دون القصة، ابن ماجه: ك (٣٧) ب (٢١) ح (٤٢٠٤) حسن لغيره دون القصة.

السادسة: أنه فسر ذلك ـ بأن المرء يصلى لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمنا فإنه ناقص الايمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقد كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص فى عمله اخلاصا تاما ولكنه يأخذ على عمله جعلا ومعلوما يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التى تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذى يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التى تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذخ فى إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله النيا، وانما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينا له على قيام الدين.

ولهذا جعل الله فى الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفىء وغيرها جزءا كبيرا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة، كما قد عرف تفاصيل ذلك.

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن، ويوجب لك أن تنزل الأمور منازلها والله أعلم.

باب: من الشرك إرادة الانسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾[1] الآيتين.

وفى الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبدُ الدِّينَار، تَعِسَ عَبدُ الدِّرهَم، تَعِسَ عَبدُ الخَميصَة، تَعِسَ عَبدُ الجَميلَة إن أُعطِىَ رَضِىَ وَإن لَم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانتَكَسَ، وَإذَا شِيكَ فَلاَ انتَقَشَ. طُوبَى لعَبد آخذ بعنَان فَرَسه فى سَبيل الله، أَشعَثَ رَأسُهُ، مُغبَرَّةٌ قَدَمَاهُ إن كَانَ فى الحِرَاسَة، كَانَ فى الحِرَاسَة وَإنَ كَانَ فى السَّاقَة كَانَ فى السَّاقَة إن استَأذَنَ لَم يُؤذَن لَهُ. وَإن شُفَّعَ لَم يُشَفَّع»[2].

«فيه مسائل»

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط.

الخامسة: قوله «تَعِسَ وَانتَكَسَ».

السادسة: قوله «وإذا شيك فلا انتقش».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

---

(١) سورة هود آية: (١٥، ١٦).

(٢) البخارى: ك(٥٦) ب(٧٠) ح(٢٨٨٧).

باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان، والله تعالى يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1] أتدرى ما الفتنة، الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك.

وعن عدى بن حاتم: أنه سمع النبى ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾[2] الآية. فقلت له إنا

باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾.

ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإن الرب، والإله هو الذى له الحكم القدرى، والحكم الشرعى، والحكم الجزائى، وهو الذى يؤله ويعبد وحده لا شريك له ويطاع طاعة مطلقة فلا يعص بحيث تكون الطاعات كلها تبعا لطاعته. فإذا اتخذ العبد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجعل طاعتهم هى الأصل وطاعة الله ورسوله تبعا لها فقد اتخذهم أربابا من دون الله يتألههم ويحاكم إليهم ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه، فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله.

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حكما، وأن يرد ما تنازع فيه

---

(١) سورة النور آية: (٦٣).
(٢) سورة التوبة آية: (٣١).

لسنا نعبدهم قال: «**أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ**» فقلت: بلى، قال: «**فَتِلكَ عِبَادَتُهُم**»[1]. رواه أحمد والترمذى وحسنه.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التى أنكرها عدى.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هى العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين.

الناس إلى الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصا لوجه الله.

وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكم، الله ورسوله فى أصول الدين وفروعه، وفى كل الحقوق كما ذكره المصنف فى الباب الآخر.

فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربا وقد حاكم إلى الطاغوت.

---

(١) الترمذى: ك(٤٦) سورة التوبة ح(٣٣٢٣) حسن لغيره. وابن جرير الطبرى (٦/ ١٠/ ٨١) حسن لغيره. الطبرانى (١٧/ ٩٢/ رقم: ٢١٨) حسن لغيره (٢١٩) حسن لغيره. البيهقى: (١٠/ ١١٦) حسن لغيره. وغيرهم والحديث ليس عند أحمد.

obeikandl.com

(باب قول الله تعالى)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾[3].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[4] الآية.

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئتُ بِهِ» قال النووى ـ حديث صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح[5].

وقال الشعبى: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾[6] الآية.

---

(١) سورة النساء آية: (٦٠).
(٢) سورة البقرة آية: (١١).
(٣) سورة الأعراف آية: (٥٦).
(٤) سورة المائدة آية: (٥٠).
(٥) السنة لابن أبى عاصم (١/ ١٢/ رقم: ١٥) إسناده ضعيف. شرح السنة: (١/ ١٨٥/ رقم: ١٠٤) إسناده ضعيف، تاريخ بغداد: (٤/ ٣٦٩) إسناده ضعيف.
(٦) ابن جرير (٤/ ٥/ ٩٦ـ ٩٧) سورة النساء آية: (٦٠).

وقيل: نزلت فى رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبى ﷺ وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة فقال للذى لم يرض برسول الله ﷺ أَكَذلِكَ؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله[1].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ**﴾. الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**﴾.

الرابعة: تفسير: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبى فى سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول ﷺ.

---

(١) ابن جرير (٤/ ٥/ ٩٨).

(باب جحد شيئا من الأسماء والصفات)

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾[1] الآية.

وفى صحيح البخارى: قال عَلِىٌّ: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَايَعرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَن يُكَذِّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[2]؟.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبى ﷺ فى الصفات استنكارا لذلك، فقال: «**ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند مُحكَمِه ويهلكون عند مُتَشَابِهِه**»[3]؟ انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾[4].

«فيه مسائل»

الأولى: عدم الإيمان بجحد شىء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

(باب جحد شيئا من الأسماء والصفات)

أصل الإيمان وقاعدته التى ينبنى عليها هو الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته.

وكلما قوى علم العبد بذلك وإيمانه به، وتعبد لله بذلك، قوى توحيده، إذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال ليس له فى

---

(١) سورة الرعد آية: (٣٠).

(٢) البخارى: ك(٣) ب(٤٩) ح(١٢٧).

(٣) السنة لابن أبى عاصم (١/ ٢١٢/ رقم: ٤٨٥) إسناده صحيح.

(٤) ابن جرير (٧/ ١٣/ ١٠١).

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة، أنه يفضى إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك، وأنه أهلكه.

كماله مثيل، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر.

obeikandl.com

باب قول الله تعالى

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[1] الآية.

قال مجاهد ما معناه «هو قول الرجل: هذا مالى، ورثته عن آبائى»[2].

وقال عون بن عبد الله لولا فلان لم يكن كذا[3].

وقال ابن قتيبة ـ يقولون ـ هذا بشفاعة آلهتنا[3].

وقال أبو العباس: «بعد حديث زيد بن خالد» الذى فيه «وَأَنَّ الله تَعَالَى قَالَ: أَصبَحَ مِن عِبَادِى مُؤمِنٌ بِى وَكَافِرٌ»[4] الحديث وقد تقدم ـ

باب قول الله تعالى
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾

الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولا واعترافا كما تقدم وبذلك يتم التوحيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شىء.

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعى غيره كما هو جار على ألسنة كثير من الناس، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها وأن يجاهد نفسه على ذلك ولا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بإضافة النعم إلى الله قولا واعترافا.

---

(١) سورة النحل آية: (٨٣).
(٢) ابن جرير (٧/ ١٤/ ١٠٥ـ ١٠٦).
(٣) ابن جرير (٧/ ١٤/ ١٠٦).
(٤) سبق ص٨٣ برقم (٢).

وهذا كثير فى الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف ـ هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثيرة.

«**فيه مسائل**»

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثيرة.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكار للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين فى القلب.

فإن الشكر الذى هو رأس الإيمان مبنى على ثلاثة أركان:

اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره.

والتحدث بها والثناء على الله بها.

والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته، والله أعلم.

باب قول الله تعالى

﴿فلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾[1]

قال ابن عباس فى الآية: «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتى، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك»[2] رواه ابن أبى حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقَد كَفَرَ أَوَ أَشرَكَ**»[3] رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم.

باب قول الله تعالى

﴿فلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾

الترجمة السابقة على قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادا**﴾ الآية، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندا فى العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات.

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٢).

(٢) ابن كثير (١/ ٥٦) وإسناده حسن.

(٣) أبو داود: ك(١٦) ب(٥) ح(٣٢٥١) صحيح الترمذى: ك( ) ب(٨) ح(١٥٨٤) صحيح لغيره. أحمد(٢/ ١٢٥/ رقم: ٦٠٧٧) صحيح لغيره. الحاكم (١/ ١٨/ رقم: ٤٥) صحيح (٥٢/ رقم: ١٦٨) صحيح (٤/ ٢٩٧/ رقم: ٧٨١٤) صحيح لغيره. والحديث عن ابن عمر.

وقال ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا»[1].

وعن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَقُولوا مَا شَاءَ اللهُ وَمَا شَاءَ فُلاَنٌ وَلَكِن قُولُوا: مَا شَاء الله ثُمَّ شَاء فُلاَنٌ**»[2] رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعى: أنه يكره أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول بالله ثم بك، قال ويقول لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا لولا الله وفلان.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية البقرة فى الأنداد.

الثانية: أن الصحابة يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك فى الألفاظ كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه فى الألفاظ كلولا الله وفلان وهذا بالله وبك، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كلولا الحارس لأتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلانى لهلكت. ولولا حذق فلان فى المكسب الفلانى لما حصل.. فكل هذا ينافى التوحيد.

والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداء، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول لولا الله، ثم كذا ليعلم أن

---

(١) عبد الرزاق: (٨/ ٤٦٩/ رقم: ١٥٩٢٩) إسناده صحيح. الطبرانى: (٩/ ١٨٣/ رقم: ٨٩٠٢) إسناده صحيح.

(٢) أبو داود: ك(٣٥) ب(٨٤) ح(٤٩٨٠) صحيح. النسائى الكبرى: ك(١٨) ب(٢٣٣) ح(١٨٢١) صحيح. أحمد: (٥/ ٨٤/ رقم: ٢٣٣٢٧) صحيح (٣٩٨/ رقم: ٢٣٤٤٣) صحيح.

obeikandl.com

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم فى اللفظ.

الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره.

فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندا فى قلبه وقوله وفعله.

obeikandl.com

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَحلفُوا بِآبَائكُم مَن حَلَفَ بِالله فَليَصدُق وَمَن حُلِفَ لَه بِالله فَليَرض، وَمَن لَم يَرضَ فَلَيسَ مِنَ الله**»(١) رواه ابن ماجه بسند حسن.

«فيه مسائل»

الأولى: النهى عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

باب من لم يقنع فى الحلف بالله

ويراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة، فإنه تعين عليك الرضا والقناعة بيمينه لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه.

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلاله وجب عليك أن ترضى بالحلف بالله.

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات فهو داخل فى الوعيد لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله، واستدراك على حكم الله ورسوله.

وأما من عرف منه الفجور والكذب حلف على ما تيقن كذبه فيه فإنه لا يدخل تكذيبه فى الوعيد للعلم بكذبه، وأنه ليس فى قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد لأن حالته متيقنة والله أعلم.

(١) ابن ماجة: ك(١١) ب(٤) ح(٢١٠١) صحيح لغيره إلا قوله «ومن حُلف له..» إسناده حسن.

باب قول (ما شاء الله وشئت)

عن قتيلة ـ أن يهوديا أتى النبى ﷺ فقال إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة: فأمرهم النبى ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**وَرَبِّ الكَعبَةِ وأن يقولوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئتُ**»(١). رواه النسائى وصححه.

وله أيضا عن ابن عباس أن رجلا قال للنبى ﷺ ما شاء الله وشئت فقال: «**أَجَعَلتَنِى للهِ نِدّاً؟ بَل مَا شَاءَ اللهُ وَحدَهُ**»(٢).

ولابن ماجه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال: (رأيت كأنى أتيت على نفر من اليهود ـ قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله. قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ـ ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله: قالوا وأنتم لانتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبى ﷺ فأخبرته. قال: «**هَل أَخبَرت بهَا أَحَداً؟**» قلت: نعم. قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ طُفَيلاً رأَى رُؤيَا أَخبَر بهَا مَن أَخبَرَ مِنكُم. وَأَنَّكُم قُلتُم كَلِمَةً يَمنَعُنِى كَذَا وَكَذا أَن أَنهاكُم عَنها. فَلاَ تَقُولوا مَا**

باب قول ما شاء الله وشئت

هذه الترجمة داخلة فى الترجمة السابقة: ﴿**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً**﴾.

---

(١) النسائى: ك(٣٥) ب(٩) ح(٣٧٧٥) صحيح.

(٢) النسائى الكبرى: ك(٨٢) ب(٢٣٣) ح(١٠٨٢٥) حسن. ابن ماجه: ك(١١) ب(١٣) ح(٢١١٧) حسن. أحمد: (١/ ٢١٤/ رقم: ١٨٤٤)، (٢٢٤/ رقم: ١٩٦٩)، (٢٨٣/ رقم: ٢٥٦٥)، (٣٤٧/ رقم: ٣٢٤٦) حسان.

شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. وَلَكِن قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَحدَهُ»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: «**أَجَعَلَتنى لله نِداً**» فكيف بمن قال: «يَا أَكرَمَ الخَلقِ مَا لِى مَن أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ» والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر. لقوله «**يَمنَعنِى كَذَا وكَذَا**».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحى.

السادسة: أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام.

(١) ابن ماجة: ك(١١) ب(١٣) ح(٢١١٨).

openkandl.com